

«الفنان» هو المتحرر من الثوابت والقيود

إنطلق مؤسس مركز «علوم الإيزوتيريك في لبنان والعالم العربي» جوزيف مجدلاني من تفسير الخيال الذي يرتبط مرّة بالوهم واللاواقعية ومرّة بالإبداع والابتكار، علماً أنه لولا الخيال لما أبدع الفكر البشري، ولما كان محوراً للتجدد الدائم ومصدراً لتنوّع الاكتشافات والإنجازات الخلاقّة عبر التاريخ.



«أهميّة الابتكار والإبداع ودور الخيال والمُخيّلة» هو عنوان المحاضرة التي ألقاها مجدلاني في قاعة المحاضرات في معرض بيروت العربي للكتاب، قائلاً: «هناك الخيال - الواعي الذي هو فعل المُخيّلة، وهناك الخيال - الوهم جرّاء الهروب من مصاعب الحياة إلى التمني والرجاء والأمل المريح الذي مفعوله يُماثل مفعول المُخدّر لاستجداء لدّة نفسية تُبعد المرء عن واقعه ولو مؤقتاً».

وشدّد مجدلاني على أهميّة الفكر المُنفّث لتحديد منحي الخيال «إذ كلما اتّجه الفكر نحو الانفتاح والممارسة، لامس الخيال المُخيّلة وأغدقت عليه أفكاراً مبدعة. وعلى العكس، كلما كان الفكر مُنغلقاً أو مُنغمساً في النظريّات والتنظير، أوقع صاحبه في مُستنقعات الوهم التي تُغيّب عامل الإرادة».

وشرح: «إنّ تجريد الفكر من الخيال يعني تحجيم وعي الظاهر في نطاق المادّة ومنعه من التوغّل في الشؤون اللاماديّة. فالمطلوب رفع الخيال من دائرة الوهم إلى مُحيط العمل في اتجاه تفتيح الإبداع، وتحويل الخيال إلى فعل مخيّلة».

كذلك، أشار المُحاضر إلى أنّ «أعمال المُبدعين، سواء كانوا فنّانيين أو علماء، تنمّ عن أشخاص باحثين ومتحرّرين من قيود الثوابت التقليديّة التي تكتنف المُجتمعات. أمّا أداة بحثهم فهي المشاعر المرهفة والفكر الشفاف جرّاء قوّة تفاعلها معاً».

وأوضح أنه «كلّما ارتقى الفنّان في إبداعه، اشتدّ التفاعل بين المشاعر والفكر وتصدّعت في اتجاه الذكاء، نحو القسم الأعلى من الجسم العقلي... وغدا الخيال إبداعاً، والإبداع أقرب إلى إحياءات واكتشافات جديدة على غرار لوحات الفنّان الإيزوتيريكي العالمي، الروسي الأصل Nicolas Roerich، الذي تُعرض رسومه في متحف خاصّ بإسمه في نيويورك والذي اشتهر في تقنية الـ Tempera أي الرسم بالمجحف...».

واستفاض مؤسس مركز علوم «الإيزوتيريك» بالقول إنّ «الخيال المُجرّد من حبّ التطلّع إلى الأعماق هو وهم، هو نزوة فرديّة تؤول إلى تدرك معنى الخيال الحقيقي الأصيل، لا بل هو التسمية الخطأ للخيال والتي يصحّ نعتها بطفرة - Caprice».

وختم قائلاً: «إنّ الخيال الإنساني هو جبروت المُخيّلة أساساً، المُخيّلة التي استفزت العقل وجعلت الإنسان الكامل ينشطر في رجل وامرأة! فالخيال في باكورة تعبيره الأصيل هو الخلق من جانب المخلوق عندما يرتبط مباشرة بالمحبّة العمليّة والإرادة الفاعلة، مثلما كانت تجربة الإنسان الكامل. لذا، فإنّ الخيال ينتهي عند حدود العقل، حيث يتحوّل إلى مقدرة فاعلة في الإنسان الساعي إلى التكمّل بوعيه».